

بيانُ بعضِ العُلومِ
التي اشتمل عليها القرآن الكريم

الإمام الشيخ
عبد الله سراج الدين
رحمه الله تعالى ورضي عنه



هذا البحث مقتبس من كتاب
(هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان)

من الصفحة ١٤٣ حتى الصفحة ١٤٨

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM

قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

رابعاً: لقد اشتمل القرآن الكريم على علوم جمّة كبيرة القدر ، عظيمة الشأن ، يعجز الإنسان عن استقصائها ، كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ ، فكلّ سورة كتاب ، بل كلّ علم جاء به القرآن الكريم يملأ كتباً قيّمة .

فَمِنْ ذَلِكَ علم التوحيد والعقائد القائم على البراهين والأدلة القاطعة ، وعلم العبادات وأنواعها ووجوهها وأقسامها ، وعلم المعاملات المالية وبيان نافعها من ضارها ، وعلم الأحوال الشخصية والمعاشرات الزوجية وأحكام الأسرة ، وبيان الحقوق بينهم ، وعلم الموارث والنفقات ، وعلم الأحكام ، وبيان الحلال والحرام .

وعلم النظر والاستدلال على وجه لا تجاوز عنه ولا زيادة عليه ، بحيث يقف العقل أمامه مستسلماً خاضعاً ، وإن الحكماء والنظار مهما أمعنوا النظر ، وبالغوا وصنّفوا ، وقدّموا وأخروا: فإن ما يصلون إليه من صواب الاحتجاج والبرهان الصادق ، لا بدّ وأنه راجع إلى القرآن الكريم ، وعنه يُؤخذ ، ومنه يصدر .

كما اشتمل على علم الآداب ، ومكارم الأخلاق ، والشمائل المحمودة .

كما اشتمل على علم المواعظ والتذكير ، وعلم الأمثال والقصص ، والوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب .

كما اشتمل على الإخبارات عن الأمور الغيبية الماضية والآتية .

كما اشتمل على الإخبارات عن العوالم الكونية: العلوية

والسلفية ، الجسمية والروحية ، والعنصرية والروحانية ، والغيبية والشهودية ، إلى ما وراء ذلك من علوم وعلوم .

ولا شكَّ أنَّ هذه العلوم بهذا الشكل الكافي الوافي ، لا يتفق لأحدٍ من الناس أن يأتي به من تلقاء نفسه ، بنصوص فيها الإيجاز والإعجاز ، بلا إخلال ولا إملال ، ويجمع ذلك في كتابٍ قدره كقدره ؛ وَجُمَلْتَه كجملته .

فإنَّ ذلك ليس من قدرة المخلوق ، وإنما هو كلام الله تعالى ربِّ العالمين ، أنزله على سيدنا محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاتم الأنبياء والمرسلين ، فلو أنَّ إنساناً كُلف أن يتكلم عن بعض تلك العلوم التي جاء بها القرآن الكريم لاحتاج إلى مصنَّفات ضخمة وأجزاء متعددة .

خامساً: لو كان هذا من كلامه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، لأجاب الذين اقترحوا عليه أن يبدِّله أو يأتي بغير ما أتاهم به ؛ لعلهم يُسلمون ، وقد كان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حريصاً على هدايتهم كل الحرص ، بأيِّ وجهٍ من وجوه الحق ، وإلى هذا الدليل ينبه الله تعالى العقلاء فيقول سبحانه : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتُمْ بِشُرْعٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلْتُمْ آلَاءَنَا أَنْ أَبَدَلْتُمْ مِنْ تِلْقَائِنَا نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْنَا ﴾ الآية .

ويقول سبحانه : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ ﴾ أي : اقترحوها ﴿ قَالُوا لَوْلَا آجَبْتَنَاهَا ﴾ أي : هلاً اخترتها واختلفتها ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُوتِيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

سادساً: لو كان هذا القرآن الكريم من تلقاء نفسه صلَّى الله عليه

وآله وسلّم ، لأجابه الذين سألوه عن مهمّات من الأحكام التشريعية ، والأحكام التكوينية ، دون أن يتوقف عن جوابهم ، ينتظر وحي الله تعالى إليه بالجواب ، ثم بعد ذلك ينزل القرآن الكريم فيذكر السؤال والجواب ، وربما استعجل النبي صلّى الله عليه وآله وسلم الجواب فلم يُعَجَّلْ له ، بل تمضي مدة ثم ينزل ، فهذا التوقف والانتظار ، وهذا الأسلوب النازل بالسؤال والجواب ، دليل صريح على أنه صلّى الله عليه وآله وسلم ليس له تدخّل في نظم هذا القرآن ، ولا في وضع أساليبه ، وليس من كلامه صلّى الله عليه وآله وسلم ، إنما هو كلام رب العالمين .

فمن الأسئلة عن الأمور التكوينية ، ونزول الجواب بها ، سؤاله صلّى الله عليه وآله وسلم عن الروح ، وعن أصحاب الكهف ، وعن ذي القرنين .

قال تعالى : ﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ الآيات .

وقال تعالى : ﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ الآيات .

ومن الأسئلة عن الأحكام الشرعية قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ الآية .

وقوله تعالى : ﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي اتَّيْتُمُوهَا قُلْ إِصْلَاحٌ لَكُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُحَالِطُوهُمْ فَارْحَمُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ الآية .

ونحو ذلك من الآيات الكريمة التي جاء فيها الجواب عما سأله صلى الله عليه وآله وسلم .

سابعاً: لو كان هذا القرآن من تلقاء نفسه صلى الله عليه وآله وسلم ، لكان عرضه على الناس ، وإبلاغه لهم يأتي على أسلوب واحد ، مع أنه تارة يبلغ ما أمر بتبليغه من الآيات القرآنية دون أن يذكر صيغة الأمر بالتبليغ ، وتارة يذكر صيغة أمره سبحانه النازل عليه بالتبليغ ، فيقول في بعض الآيات: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ ، ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ .

ويقول في بعضها: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ﴾ أي: ولست بمخترع لها ولا مخترع لها .

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و ﴿ قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الآية .

ولذلك وصفه الله تعالى فقال: ﴿ هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ ﴾ أي: هذا القرآن الكريم فيه دلائل تبصركم وجود الحق ، ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أي: لقوم يُدْعِنُونَ للحق ويصدقون به إذا بدأ لهم ، واتضح لهم دليله ، وأما مَنْ جحد الحق بعد ما ظهر له وعاند ، فإن العناد لا ينفعه الجدل ، بل الجلال - ومأواه جهنم وبئس المهاد .

ثامناً: إن كل عاقل إذا قارن بين القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى ، وبين كلامه صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديثه وخطبه

ومواعظه وغير ذلك ، يرى بينهما فارقاً جلياً ، وذلك أن كلام الله تعالى تتجلى فيه سطوة الربوبية ، وسلطنة الألوهية ، فله الهيمنة على الأرواح ، وعلى القلوب والعقول والنفوس ، هيمنة رب على مربوب ، وتعالى خالق على مخلوق ، يتجلى فيه سبحانه بعزته وكبريائه ، فينادي نداء رب لعباده فيقول: ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ ، ويخاطب عباده بالتعالي والعظمة فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ ، ويقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ، ويقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وَيَمَجِّد فِيهِ نَفْسَهُ ، وَيَعْظُمُ نَفْسَهُ فِيَقُولُ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

ويبين لعباده عظمته وقدرته وقوة سلطانه ونفوذ إرادته ، وأنه الإله الذي يغلب ولا يُغلب ، ويقهر ولا يُقهر فيقول: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينَهُ سُبْحَانَ اللَّهِ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

ويقول سبحانه: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ .

فيتجلى في هذه الآيات الكريمة ، عظمة مقام الربوبية ، وسلطان مقام الألوهية ، ويعلم العاقل قطعاً أن هذا ليس كلام

بشر ، بل هو كلام رب العالمين ، كما جاء ذلك عن من سمع هذه الآيات الكريمة : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾ الآيات ، ويروي أن ابن المقفع - وكان بليغاً فصيحاً - سمع هذه الآية يقرأها صبي في الكتاب فقال : أشهد أن هذا الكلام لا يعارض أبداً ، وليس هو من كلام البشر .

وهكذا القرآن الكريم جاء مُفْتَتِحاً كثيراً من السُّور بفواتح حرفية ، لم يُعْهَد ذلك في فواتح أحاديثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فافتتح القرآنُ بعض السور بحرفٍ : ﴿ تَّ ﴾ و ﴿ صَّ ﴾ و ﴿ قَّ ﴾ ، وبعضها بحرفين : ﴿ حَمَّ ﴾ ، وبعضها بثلاثة حروف : ﴿ أَلَمَّ ﴾ ، وبعضها بأربعة : ﴿ أَلَمَّصَّ ﴾ ، وبعضها بخمسة ﴿ كَهَيَّعَّصَّ ﴾ ، والكلام على الحروف التي افتتحت بها بعض السور القرآنية سوف يأتي إن شاء الله تعالى .

* * *